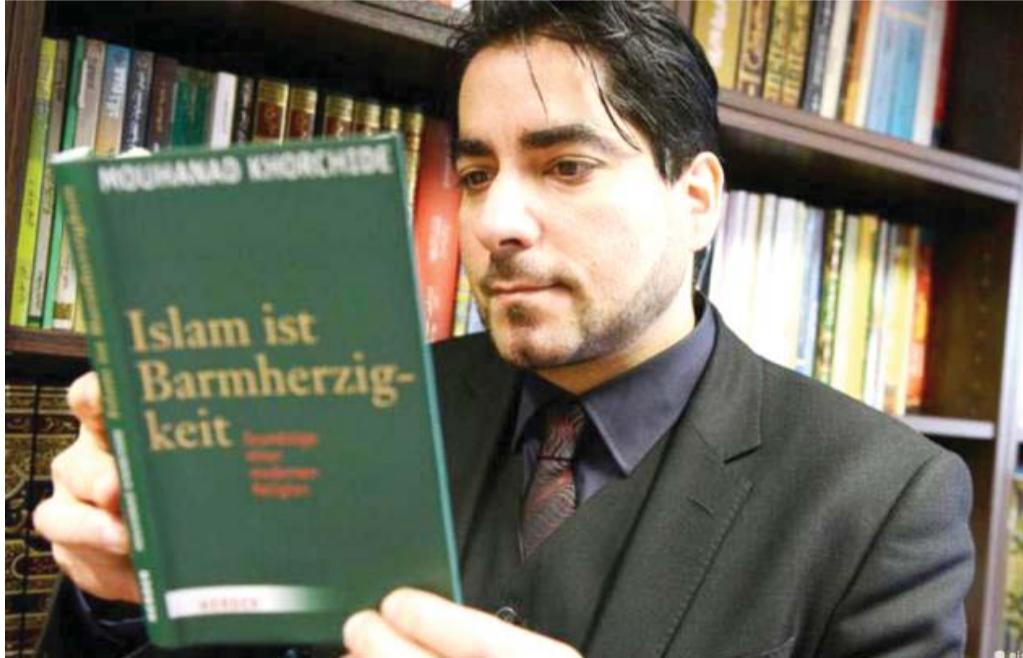


عالم اجتماع عربي يكشف دور الإسلام السياسي في أوروبا

مهند خورشيد:

الإصلاح الديني يكون بتصحيح علاقة المسلمين مع الله



● خورشيد يحرص على التأكيد، في كل مناسبة، على أن التطرف فكر قبل أن يكون حالة اجتماعية، ويضرب مثلاً بمنفذي عمليات الحادي عشر من سبتمبر 2001، الذين كان معظمهم متفوقين تعليمياً ولم يكونوا قراء.



● الإسلام في أوروبا حالياً، وحسب خورشيد، عبارة عن رسائل سياسية بعيدا عن روحانية الدين، وهذا ما لاحظته مبكراً في مساجد الإخوان المسلمين، حينها تبين له أن المبدأ هو "إن كنت معنا فانت مسلم وإن لم تتبعنا فانت لست مسلماً".

المسلمين هو إله الجهاد، بينما إله المسيحية هو إله المحبة والسلام. بينما الخالق يريد كل خير للإنسان في الدنيا، ولذلك علينا أن نفعل قيم الدين. ويضيف "عندما يكون الدين خوفاً من الله فهذه الطريقة تأخذنا إلى علاقة مصالحة بين العبد والرب، وليس علاقة محبة متبادلة، وبهذا يتعد الإنسان عن محبة الله، وعلى المسلمين تفعيل الحديث عن الرحمة كمحور لفهم الدين الإسلامي وهنا تأتي كلمة الرحمة، سريانية الأصل، بمعناها إله المحب. وإذا ما قرأنا القرآن نجد اسم الرحمن لم يرد في السور الأولية، إنما في سورة "مريم" وكان الله يريد إيصال فكرة الرحمة للإنسان وأن الله أعطى الإنسان الحرية في المحبة.

عماد الإسلام وأساس أركانه، وفق الفكر الذي يطرحه خورشيد، الرحمة الإلهية المحبة للإنسان، وكما ورد في القرآن الكريم "يحبهم ويحبونهم". وكأنه يقول إن الله ينادينا إلى رحمته التي وسعت السموات والأرض، وأيضا في قوله "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر". ومن هنا كان مشروع في تفسير القرآن الكريم وترجمته إلى الألمانية الذي يضع الآيات القرآنية في سياقها التاريخي، فعلى سبيل المثال نجده يفسر في إحدى نواته الآية القرآنية "أقتلوهم حيث تقتلهم" على أنها لا تتحدث عن قتل الإنسان المغاير، بل أتت في سياق تاريخي محدد، كانت الغزوات فيه على هذا المشروع الذي وصل إلى 15 مجلداً باللغة الألمانية.

وهناك، حسبيما يقول، حاجة ماسة لتفسير القرآن الكريم باللغة الألمانية وفق منهجية القرآن ليس كأي كتاب، بل هو خطاب الله للبشرية، وعلى العلماء العرب ممن يتحدثون لغات أجنبية أن يقوموا بتفسير القرآن والعمل على الكشف عن هذه الرحمة الإلهية وتجلياتها في السياق التاريخي؛ أين تظهر؛ ما الذي أرادت تغييره في مجتمع الترتيل؛ ما الذي تريده من مجتمع الحاضر؛ إذن، وحسب قوله، يحتاج إلى دراسة السياق التاريخي الذي نزل فيه القرآن كي نستطيع الكشف عن تجلي رحمة الله في هذا السياق.

الأضواء مسلطة على خورشيد منذ أن دعاه الرئيس الألماني غاوك لمناقشته في أحد كتبه، ولكن الضريبة كانت قاسية عليه، فأنهالت عليه تهديدات شبه أسبوعية، أحدها كان رسالة على هاتف ابنه المحمول. حتى تم تكليف مجموعة حماية من الشرطة الألمانية مخصصة له

دنيا مختلفا عن المجتمع، وحرية الديانات متاحة جدا في النمسا وألمانيا، حتى أن تدرسيها يتم على حساب الدولة، وتوجد مساواة بين المسلمين وغيرهم من الأديان الأخرى، ولكن جماعة الإسلام السياسي لا تنفك عن استخدام نظرية المؤامرة والمظلومية الدينية. وما يورقه هو هيمنة هؤلاء على المجتمع وفرض طوقس مختلفة على الناس، وأسلمة البلدان التي يعيشون فيها. رابطين إسلام المرأة في غطاء رأسها. الأكثر وضوحا في كتاب خورشيد "خيانة الإسلام" هو الفصل بين ما تتبناه قوى الإسلام السياسي من تحليل وتحريم للوصول إلى مبتغاهما، وبين طهارة الإسلام الدين الحنيف وما يدعو له من قيم تهتم بالحياة الروحية القائمة على التسامح والإخاء بين بني البشر. وكان قد أوضح عقب هجوم نيس الفرنسية في مقال نشره موقع "شبكة إن دي آر" الألماني في 30 من أكتوبر الماضي، ضرورة استدراك الإسلام الفوري والشامل لما يجب الانتقادات إليه، وكتب إن "هجوم نيس الهامجي تسبب برعب في جميع أنحاء العالم"، منذ أن الإسلاميين يريدون الإطاحة بالجماعات الليبرالية في جميع أنحاء العالم".

الإصلاح الديني يبدأ، كما يقول خورشيد، من تغيير الفتاوى والفقه، ولا يكفي أن نبذل فتوى مكان فتوى، بل لا بد من التفكير في صياغة علاقة الإنسان بالله. والتفكير هل هي علاقة سلطة أم علاقة محبة؟ يقول "كثيرا ما أسمع أن إله

متابعة مسيرته إيمانا منه بضرورة نشر التنوير بين المسلمين أنفسهم، على مبدأ أن الإسلام ليس دين عنف، ولكن يدرك أن هناك من يريد توظيف الدين من أجل أجندات سياسية، وهذه مشكلة خورشيد مع الإسلام السياسي.

الدين لخدمة الإنسان

الدين، كما يرى خورشيد، جاء ليخدم الإنسان، والإنسان مكلف بأن يخدم أخاه الإنسان. أما التدين وحقيقته فهي في إنسانية الإنسان. وهو يُعرّف الدين بأنه ليس مجرد طقوس أو دوغمائية، الدين معاملة، بينما لا بد للتدين من أن يُترجم في حياة الإنسان وفي أخلاقه، وإلا سيبقى الدين مجرد عناوين فارغة. يقول عن نفسه "لست سياسياً، أنا شخصية انطوائية، وليست لدي انتماءات حزبية أو سياسية"، ويضيف "عندما وصلت إلى النمسا كنت أذهب لصلاة الجمعة مثل باقي المسلمين ولكن فوجئت بأن الخطب معظمها سياسية تتناول الحكام، وهذا ما اعترضت عليه عند الإمام، وفيما بعد فهمت أن المسجد الذي أرتاده مسيطر عليه من قبل حزب التحرير".

الإسلام في أوروبا حالياً، وحسب خورشيد، عبارة عن رسائل سياسية بعيدا عن روحانية الدين، وهذا ما لاحظته في مسجد آخر يتبع الإخوان المسلمين، وحينها تبين له أن مبدأ جماعات الإسلام السياسي مبني على التبعية "إن كنت معنا فانت مسلم وإن لم تتبعنا فانت لست مسلماً".

شعر خورشيد أن الدين الذي يتكلم عنه خطباء المساجد هو دين سياسي وليس روحياً، وهؤلاء يعيشون في أوروبا ليهيمنوا على السلطة السياسية، وبكلامهم المعسول يريدون استخدام الدين جسراً للعبور نحو السلطة السياسية. كان واضحا أنهم يريدون أن يتروكا فجوة بين المسلم والمجتمع المضيف في أوروبا، بالرغم من كلامهم بالإبتعاد عن العنف، ولكنهم يلهيهم عقول الشباب بالحقد على المجتمع الغربي. أما أفراد جماعات الإسلام السياسي التي لم تردعها الأخلاق والدين، فقد أخذوا يزورون الحقائق في صحفهم، وأصفيين خورشيد بأنه ضد الإسلام والإنسانية. مجرد تسلط الضوء على أساليبهم اللاأخلاقية.

خيانة الإسلام

يعتبر خورشيد أنه ومع غياب كامل للدول المعتدلة إسلامياً في المشهد الأوروبي، فلا بد أن يتأقلم الإسلام كجزء من المجتمع، وليس

في تدریس مادة التربية الإسلامية في المدارس الألمانية. صدر لخورشيد العديد من الكتب، وهي تقارب التسعة والعشرين كتاباً موزعة في عدة مكاتب ألمانية، وهي تلخص إبداعه الفكري الذي يدعو على الدوام إلى الدفع بعجلة اندماج المسلمين في المجتمع الألماني مع الحفاظ على هويتهم الإسلامية.

وفي حادثة وقعت عام 2012 ولم يلق لها بالاً في البداية تلقى بريداً إلكترونياً من مكتب الرئيس الألماني السابق يواخيم غاوك اعتبرها في حينها رسالة ليست ذات أهمية، فلما منه أن هناك من يمازحه، ولكن بعد أيام قليلة تلقى اتصالاً من مكتب الرئيس حينذاك، يطلب منه الحضور إلى مكتب الرئاسة، وفي موعد محدد. وبالفعل التزم بالموعد، كأي مشرقي يعتبر رسالة الرئيس أمراً فائق الأهمية وتوجه إلى مكتب الرئيس غاوك.

طلب منه الرئيس الجلوس بالقرب منه أمام طاولة صغيرة خشبية، وبارده بالحديث حول كتابه "الإسلام دين الرحمة" قائلاً "لم أكن أعرف أن كل هذه الرحمة موجودة في القرآن، ولكن أنتم المسلمون لماذا لا تحدثوننا عنها؟" وافاض في نقاشه للكتاب، ما يوحى بأنه قراء بعناية وحرص شديد. وقبل مغادرة خورشيد مكتب الرئيس، وعده الأخير بزيارة إلى الجامعة، وفعلاً بعد بضعة أشهر زاره مبدياً تغييراً في نظرتة حيال الإسلام.

مشروعه في تفسير القرآن الكريم وترجمته إلى الألمانية يضع الآيات القرآنية في سياقاتها التاريخية، وعلى سبيل المثال، نجده يفسر الآية القرآنية «أقتلوهم حيث تقتلهم» على أنها لا تتحدث عن قتل الإنسان المغاير، بل أتت في سياق تاريخي محدد، كانت الغزوات فيه تكاد لا تنتهي

منذ ذلك الحين، أخذت الأضواء تُسلط على خورشيد، ولكن الضريبة كانت قاسية عليه، حيث بدأ يتلقى تهديدات شبه أسبوعية، أحدها كان رسالة على هاتف ابنه المحمول، وبهذا بدأت حياته في التغير وصيغها الحذر في كل خطوة، حتى تم تكليف مجموعة حماية من الشرطة الألمانية مخصصة له، فاضطر إلى تبديل منزله، وتم تركيب أجهزة مراقبة وكاميرات خفية.

فشلت محاولات إسكاته، بل على العكس من ذلك، ازداد إصراراً على

درويش خليفة صحافياً سورياً

بحرص عالم الاجتماع واللاهوت المعروف بشكل واسع في ألمانيا والنمسا، مهند خورشيد، على التأكيد أن التطرف فكر قبل أن يكون حالة اجتماعية، يقول "انظروا إلى منفذي عمليات الحادي عشر من سبتمبر 2001، كان معظمهم متفوقين تعليمياً ولم يكونوا قراء، لكن بلا شك أن الفكر والعزلة الاجتماعية تهيئان المناخ والظروف الملائمة للتطرف ولكن بالمقابل القضاء على الفكر، لأن التطرف مبني على فكر، والفكر المتطرف تجب محاربته بفكر معتدل".

يضع خورشيد ملاحظاته الدقيقة على تلك الظاهرة، فيشير إلى أن البعض يؤكد دائماً أنه ضد التطرف، لكن فهمه للإسلام يعمل في طياته أفكاراً تصب في التطرف. والقضاء على ذلك يجب أن يتبعه فكر ديني متنور، إذ لا مفر من تخفيف المنابع الفكرية للإرهاب.

أضواء وتهديدات

ولد في العام 1971 في حي الحثا ببيروت، من أبوين تعود جذورهما إلى مدينة عكا الفلسطينية التي خرجوا منها عام 1948 إلى لبنان. درس والده الهندسة الكهربائية في مصر وتخرّج فيها في زمن الرئيس جمال عبد الناصر، وفي الستينات من القرن الماضي انتقلت عائلته إلى العمل في الرياض ووجهة في المملكة العربية السعودية. وهناك أنهى خورشيد تعليمه حتى حصوله على الثانوية العامة من الرياض، ليعود إلى بيروت ويلتحق بكلية الإمام الأزاعي للدراسات الإسلامية. ومما يرويه خورشيد عن مفارقات العقل الديني أنه كان قد فاز وهو ما يزال في التاسعة من عمره بجائزة لحفظ القرآن، وكان يظن أن الجائزة مجموعة ألعاب تتناسب وسنه، ولكنه فوجئ عندما فتح الصندوق أن المكافأة كانت مكتسبة كهربائية، ما أصابه بالإحباط.

عندما وصل خورشيد إلى ألمانيا لتدریس التربية الإسلامية في معهد الدراسات الإسلامية، كان عدد الطلاب حينها 13 طالباً فقط و3 مدرسين. أما اليوم، يضم المعهد 900 طالباً وطالب 70 عاملاً في الحقل التدريسي، وهذا ما ساهم في تحقيق رؤيته في تكريس صورة الإسلام المتنور وذلك من خلال فهمه للإسلام دون القفز على الدين. إسلام الرحمة وإسلام المحبة كما يصفه.

تم تعيين خورشيد في مركز اللاهوت الإسلامي في جامعة مونستر. ليصبح بعد عام واحد منسقا لكلية الدراسات العليا في الفقه الإسلامي المؤسسة ميركاتور، ويشتهر في الأوساط الأكاديمية، ثم لاحقاً رئيساً لمركز علم اللاهوت الإسلامي في جامعة مونستر ذاتها، حيث يقوم بتأهيل المعلمين الذين سيكون لهم دور